المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض ، وما فيهنّ ، والصلاة والسلام على نبيّ الهدى ، ومن به اقتدى ، وبعـد :

فقد مضت سنون طويلة ، وأنا أقرأ للصفدى ، وأقرأ عنه ، وأتاحت لى أسفارى الكثيرة الاطلاع على العديد من كتبه المخطوطة فى الرباط ، وتونس ، ودمشق ، وحلب ، وإستانبول ، وبرلين ، ومدريد ، فضلا عن القاهرة ؛ فصوّرت منها أغلبها ، وحقّقت بعضها ، وامتلكت كلّ كتبه المطبوعة ، ولا أخفى حبى له ، وإعجابى به .

ألا يستحقُّ الإعجاب أمير من أمراء المماليك لم يُلْهِهِ المال والترف عن طلب العلم ، والاشتغال به ، ولم يصرفه الغنى والجاه عن الكتابة ، والتأليف ؟

ألا يستحقُّ الحب من تلمذ لابن تيمية ، وابن سيّد الناس ، وأبى حيّان ، والذهبى ، والبرزالى ، وابن جماعة ، والتقى السبكى وغيرهم كثير من أعلام التفسير ، والحديث ، والتاريخ ، والأدب ؟ ومنهم من تلمذ له ، وقرأ عليه ، ومنهم من أجازه ، واستجازه ، وهؤلاء العلماء هم مَنْ هم مكانة ، وقَدْرًا ، وعلما ، وأدبا ؟.

ألا يستحق التقدير من ترك أثرا باقيا فى الكثير مِنْ مَنْ جاء بعده مِنَ الأدباء ، والمؤرخين إلى يومنا هـذا ؟

وبين أيدينا الدراسات الحديثة التى تبيّن أثره فى معاصريه ومَنْ بعده ، منهم :

ابن شاكر الكتبى الذى أكثر النقل عنه فى مؤلفاته .

وسار على نهجه - وإنْ غمز فيه - ابن حجّة الحموى .

وكانت كتبه عمدة المقريزى ، وابن حجر ، والسخاوى ، وابن تغرى بردى ، وابن إياس ، وغيرهم ، بل إنّنا نجد السيوطى يتتبع كتبه اختصارا ، وتتميما ، ونقلا فى أكثر من كتاب من كتبه .

كان الصفدى على علاقة وثيقة بملوك عصره ، وأمرائه ، يصحبهم ، ويترسل عنهم ، وكانت علاقاته أوثق بعلماء زمنه ، وأدبائه ، ومثقفيه ، يقرأ عليهم ،

ويراسلهم ، ويستجيزهم ، ويباحثهم فى مجالسهم ، ويسامرهم فى أنديتهم ، وينسخ كتبهم ، ويترجمهم .

كما كان للأتقياء والصالحين نصيب فى حياته يَوَدُّهم ، ويَبَرُّهم ، ويلبس خرقتهم .

ودَوَّنَ كل ذلك فى كتبه ؛ فمؤلفاته - بحق - سجلّ حافل أَمِينٌ يصوّر أكثر من نصف القرن الثامن الهجرى أصدق تصوير فى حياته السياسيّة والاجتماعية ، وتيّاراته الفكرية والثقافيّة يصوره فى جِدّه وهَزْله ، فى ثرائه وفقره ، فى أمجاده ونكباته ، فى وقائعه وأحداثه ، فى خيره وشرّه .

وقد لفت نظرى فى سيرته أمور ، منها :

يستقى الدارسون معلوماتهم عن الصفدى من كتب التراجم وكتب التاريخ ، وفى أكثرها معلومات خاطئة ، عن سيرته ، وعلاقاته ، وأدبه ، ومردّ ذلك - فى بعض الأحيان - إلى ما يكون بين النابغين والعلماء من منافسة ؛ ويمكن تصحيح هذه الأخطاء من خلال مؤلفاته المتوفّرة لدينا .

فى المكتبة العربية - اليوم - دراسات جادّة عن العديد من العلماء المعاصرين له ، كالذهبى ، وابن نباتة ، وابن حجّة ، وغيرهم ، ولا نكاد نجد فيها دراسة مماثلة تُظْهِر مكانة الصفدى ، وما له من آثار فى النقد والعلم والأدب .

لهذه الأسباب كان اختيارى لموضوع هذه الدراسة

« الصفدى وآثاره فى الأدب والنقد »

وتشتمل الدراسة على بابين ، وخاتمة :

الباب الأول : عن الصفدى وعصره ، وجعلته أربعة فصول .

الفصل الأول : الحياة السياسية فى عصره ، وما فيها من أحداث ووقائع ، وما تخللها من اضطرابات وفتن ، وصدى الأحداث فى شعر الصفدى .

الفصل الثانى : الحياة الاجتماعية ، وما فيها من مظاهر الإسراف وما أصابها من نكبات ، وطبقات المجتمع ، واقتصاده .

الفصل الثالث : الحياة الثقافية ، وما فيها من مدارس ، ونهضة علمية وأدبية ، وتشجيع الحكام المثقفين على البذل والعطاء .

الفصل الرابع : الصفدى أصله ، مولده ، نشأته ، دراسته ، شيوخه ، تلاميذه ، عقيدته .

الفصل الخامس : آثار الصفدى العلمية والأدبية ، وهو فى أربعة مباحث .

المبحث الأول : الكتب التى نسبت إلى الصفدى ، وإلى غيره ، ولا يمكن القطع بصحة نسبتها له ، أو نفيها عنه .

المبحث الثانى : الكتب التى نعرف أسماءها ، ولا نعرف لها وجودًا فى مكتبة عامة ، أو خاصة .

المبحث الثالث : كُتُب الصفدى التى بين أيدينا ، وبيان أماكن وجودها ، وموضوعاتها ، والمخطوط منها ، والمطبوع .

الباب الثانى : مكانة الصفدى العلمية ، وأثره فيمن بعده ، وهو فى خمسة فصول .

الفصل الأول : الصفدى المؤرخ والأديب ، منهجه ، ومستويات أسلوبه النثرى .

الفصل الثانى : الصفدى الشاعر ، أغراضه ، خصائص شعره ، قصة خبز الشعير ، مكانته بين شعراء عصره .

الفصل الثالث : الصفدى الناقد ، وأهم القضايا النقديّة التى عالجها والتقليد والتجديد فى آرائه .

الفصل الرابع : الصفدى اللغوى ، وما له فيها من مؤلفات .

الفصل الخامس : الصفدى النحوى ، وجهوده فيه .

وليس الهدف من هذا العرض تقديم دراسة شاملة عن الصفدى فى جوانبه المتعدده ، فهذا محال ، وكلّ جانب من هذه الجوانب حقيق أنْ يكون موضوع دراسة أكاديميّة مستقلّة ، وإنّما الهدف بيان جهوده ، ومساعدة الباحثين على دراسته .

الخاتمة : وفيها عرض للبحث ، وتلخيص لنتائجه ، يتلوها بعض الفهارس الفنية التى لابد منها .

ولا يفوتنى فى هذه التقدمة الاعتراف بالفضل لذوى الفضل والعلم الذين قدّموا لى كلَّ مساعدة ، وعون ، ولم يبخلوا بنصح ، وإرشاد ، ومنهم أساتذتى ، وزملائى ،

وأصدقائى وأخص بمزيد الشكر والعرفان دار الآفاق العربية لحرصها على نشر هذا البحث إيماناً منها بجدّيته ، وكونه حقيقاً بالنشر كى يكون الباحث والقارىء العربى على ذُكْرٍ من سيرة هذا العالم الفذّ - صلاح الدين الصفدى - وآثاره فى الأدب والنقد على حدّ سواء وكل ما أرجوه أن يكون عملى « علماً ينتفع به » ، والله من وراء القصد ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

المؤلف

obeikandl.com